الشيخ صالح الجعفري، النشأة، والمنهج

الباحث/ فاروق يحيى عبد الحميد موسى، باحث دكتوراه
تحت إشراف/ ا.د صالح عطيه صالح، ا.د عطيه مصطفى محمد حسين

الملخص:

لقد منَّ الله على الأمة بعلماء حملوا راية الرسالة، وبَلَّغُوا الأمانة، ودعوا إلى الوسطية والسماحة، ورَبَّوا أجيالا على الفضيلة، وزرعوا في قلوب الناس حقيقة الدين، وبيَّنُوا لهم لبَّ المفاهيم، وأنَّ ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ومن هؤلاء الأعلام الشيخ صالح الجعفري العالم الأزهري الصوفي النحرير، الذي تميز بمنهجه الوسطي، وتصوفه الصحيح، الذي حارب به الخرافات والدجل، وحطم على عتباته كثيرا من أهل الافتراءات والدعاوى، داعيا إلى الشُرْبِ من معين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهدي السلف الصالح، عقيدة، وفقها، وتصوفا، علما وعملا.

summary

God has blessed the nation with scholars who carried the banner of the message, communicated the trust, called for moderation and tolerance, raised generations on virtue, planted in the hearts of people the truth of religion, and showed them the core of concepts, and that what is with God can only be obtained by obedience to Him, and among these figures is Sheikh Saleh Al-Jaafari The Azhar scholar, the silky mystic.

الكلمات المفتاحية/ الشيخ صالح الجعفري، نشأته، تعليمه، منهجه.

Keywords/ Sheikh Saleh Al-Jaafari, his upbringing, his education, his approach.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

هذا البحث المختصر يتناول حياة الشيخ صالح الجعفري، وبيان منهجه الوسطي، ويحتوى هذا البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التعريف بالشيخ صالح ونشأته، والمبحث الثاني: مكانته العلمية، والمبحث الثالث: منهجه عقيدة، وفقها، وتصوفا، وقد اتبعت في بحثي المنهج التاريخي؛ للوقوف على نشأة الشيخ صالح الجعفري وتاريخه، والمنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبع ما كتبه صالح الجعفري أو كتب عنه؛ للخروج بالنتيجة المرجوة، والمنهج التحليلي؛ وذلك بدراسة مفردات البحث بأسلوب علمي واضح مستخدما تنظيما معينا للوصول إلى الحقائق والنتائج.

ومما سبق فإنَّ البحث يتنوع منهجه حسب حالة كل جزئية من أجزاء البحث.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ صالح، ونشأته:

أولا: نسب صالح الجعفري:

يتميز الشيخ بعراقة النسب؛ إذ ينتهي نسبه إلى الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب زوج الزهراء الطاهرة بضعة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ السيدة فاطمة ـ عليهم السلام ـ (١)، يقول الشيخ صالح في ديوانه:

وَرِضْوَانٌ لأَهلِي هُمْ كِرَامٌ جَعَافِرَةٌ لَهُمْ مَجْدٌ يَطُولُ

وجَعفَرُ صَادِقٌ جَدِّي عَلَيْهِ رِضاءٌ لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ

شَكَرْتُ اللهَ أَنَّ جَدِّي شَرِيفٌ بِفَضلِ اللهِ سُبْحَانَ الجَلِيلُ(٢)

وكان جده لأبيه (صالح محمد) رجلا حافظا للقرآن الكريم، وعالما من علماء الأزهر العاملين، محبا للتصوف، قائما به، آخذا للطريقة الأحمدية(٣)، زاهدا في الدنيا،

هاجر جده من مصر إلى "دُنْقُلا" ـ مدينة بشمال السودان ـ واستقر بها، وقد جدَّ في تحفيظ القرآن الكريم، ومدارسة العلم، حيث أقام حلقة لتحفيظ القرآن، وأخرى لتدريس العلم في مسجد دُنْقُلا، وقد انصرف بكليته إلى القرآن والعلم، ومن أجل خدمة القرآن الكريم ترك الجد خلفه أمور الزراعة، وإدارة شئون المنزل إلى ولده الحاج محمد صالح (والد الشيخ صالح)، الذي كان له نعم العون في تفرغه لخدمة القرآن والعلم الشرعي، ممَّا جعل لذلك أثرا عميقا في سلوك الشيخ صالح الجعفري الذي حفظ القرآن على بعض من أتقنه على يدي جده ـ رضي الله عنه ـ (٤).

ثانيا: مولد الشيخ صالح الجعفري، ووفاته:

ولد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، الموافق لسنة عشر وتسعمائة وألف من الميلاد(٥)، وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق للسادس من أبريل سنة تسع وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) بعد حياة حافلة بالعلم والعمل، ودفن بجوار مسجده بالدراسة بالقاهرة(٦).

ثالثا: نشأة الشيخ صالح الجعفري:

نشأ الشيخ صالح نشأة طيبة، في وسط أسرة محافظة، فحفظ القرآن وأتقنه(٧)، ثم تتلمذ على يدي مشايخه الأدارسة الذين قد أخذ طريقتهم في عمر التاسعة عشر على يد الشيخ محمد الشريف بن السيد عبد العالي بن السيد أحمد بن إدريس ـ رضي الله عنهم ـ (٨)، ولم يأل جهدا في أن يسير مسيرهم، وأن يكون مقتديا بهم علما وعملا، قارئا للقرآن، ذاكرا لله تعالى، راجيا الفتوح، وزد على ذلك ما كان يسعى الشيخ جاهدا لتحصيله في الأزهر الشريف من العلوم المختلفة(٩).

رابعا: التحاق الشيخ صالح الجعفري بالأزهر الشريف:

كان حضور الشيخ صالح الجعفري إلى مصر طلبا للعلم بالأزهر في الثلاثينات من التاريخ الميلادي بعد أن تحقق له ثلاثة أمور تدل على التأكيد بأن يسلك طريق العلم الشرعي بواسطة الأزهر الشريف، وحاصل ذلك كما يلي:

أولا: بالإشارة من السيد أحمد بن إدريس؛ إذ رآه الشيخ منامًا قائلا له: الله معك، اقرأ الفقه على المذاهب الأربعة، فأُوِلَت للشيخ صالح على أنَّه سيَدْرُس بالجامع الأزهر حيث يُدَرَّس هنالك الفقه على المذاهب الأربعة.

ثانيا: بالإرشاد من شيخه السيد عبد العالي؛ وذلك بعدما استعار الشيخ صالح (كتاب شرح النووي على صحيح مسلم) من أحد أبناء بلدته للمذاكرة والاطلاع، فرأى بعدها في منامه السيد عبد العالي ـ والد شيخه ـ جالساً وبجواره زاد للسفر، وسمع من يقول: إنَّ السيد يريد السفر إلى مصر، إلى الأزهر، فأقبل على السيد مسلما، فقال له السيد مع جِدَّة: "العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب" وكررها، فاستيقظ الشيخ صالح من منامه، وقد ألهمه الله السفر إلى الأزهر.

ثالثا: بالأمر المباشر لوالده من شيخه السيد محمد الشريف، وكان عمره آنذاك عشرين عاما تقريبا(١٠).

المبحث الثاني: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

تظهر مكانة الشيخ صالح الجعفري العلمية من خلال رصيده العلمي، والذي برع من خلاله في التدريس والتربية، وكذلك ما خلفه من مؤلفاته القيمة التي حفظت له أثره من بعده، وجعلته محلا لثناء العلماء عليه:

أولا: تخرجه من الأزهر:

حصل الشيخ صالح الجعفري على الشهادة الأهلية والشهادة العالمية من الأزهر القديم، ثم حصل بعد ذلك على الشهادة العالية مع إجازة التخصص في التدريس من كلية الشريعة الإسلامية(١١).

ثانيا: أبرز شيوخه في الأزهر:

تلقى الشيخ العلم بالأزهر الشريف على يد نخبة من كبار العلماء العاملين، ومنهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي (ت: ١٣٥٣هـ) المحدث، والشيخ محمد بخيت المطِيعِي (ت: ١٣٥٤هـ)، والشيخ حبيب الله الشَّنقِيطِي (ت: ١٣٦٣هـ) العالم المحَدِّث المشهور صاحب "زاد مسلم" وغيره من المصنفات المفيدة الذي كان للشيخ معه لقاءات وكرامات، حظي الشيخ بدعمه وحبه، وكان ينيبه عنه في درسه إذا عرض له عارض، أجازه بإجازاته ومؤلفاته، لازمه الشيخ صالح خمس عشرة سنة إلى الممات، ونزل قبره، ولحده بيديه(١٢)، ومن شيوخه أيضا الشيخ يوسف الدَّجْوِيّ (ت ١٣٦٥هـ)، كان من العلماء العارفين، لازم الشيخ درسه بعد صلاة الصبح بالجامع الأزهر الشريف بالرواق العباسي سبع سنين، وحضر عليه التفسير من سورة محمد ـ

صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آخر سورة الناس، ثم شرح البخاري بعده، ومن شيوخه أيضا الشيخ على الشايب(ت: ١٣٥١هـ)، وغيرهم الكثير(١٣).

هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين كان لها عظيم الأثر في سعة علم الشيخ مع ما وهبه الله . تعالى . من ذكاء وقوة حافظة جعلته مكبا على دروسه مجاهدا ومثابرا حتى نال الشهادتين العالية والعالمية من الأزهر الشريف، ثم أصبح صاحب حلقة ومدرساً بالأزهر الشريف(١٤)، واتخذ من رواق المغاربة مقرا له؛ حيث تفرغ للعلم والدعوة إلى الله . تعالى . وكانت له فيه خلوة مباركة، لا يفارقه إلا للحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة المصطفي . صلى الله عليه وآله وسلم . وزيارة أهل البيت(١٥).

ثالثا: تدريس الشيخ صالح بالجامع الأزهر:

إنَّ قيام الإنسان بالموعظة الحسنة إنَّمَا هو اتباع لمنهج الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، واقتفاء لآثارهم، والتزام بسبيلهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١٦)، وقال النبي ـ ﷺ ـ: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"(١٧)، وقال ـ ﷺ ـ: "لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"(١٨).

لمع نجم الشيخ صالح الجعفري في الوعظ، وخاصة عندما سمعه شيخ الأزهر في ذلك الوقت، الشيخ مصطفي عبد الرازق (ت: ١٩٤٨م) وهو يرثي أستاذه الكبير الشيخ يوسف الدجوي ـ رضى الله عنه ـ فما أن انتهي من مرثيته حتى سأل عنه شيخ الأزهر معجباً، ثم بادر بتعيينه مدرساً بالجامع الأزهر.

ومنذ ذلك الوقت بدأ صالح الجعفري يلقى دروسه بالجامع الأزهر الشريف، والتي من أشهرها حلقة درس الجمعة التي كان الشيخ يلقيه بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف، والتي جعل منها الشيخ جامعة إسلامية للعلم والتصوف، تعمقت فيها أصول الدين والشريعة علماً، وأصول التصوف تربية، فكانت مظهراً للحقيقة الصوفية، فَجَّر فيها للناس علوما من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن الكريم، مما جعل الناس يحرصون على حضور درسه ويتبركون بذلك؛ لما فيه من الأنوار والأسرار والعلوم والمعارف الدينية والعربية(١٩).

رابعا: رحلاته:

نهج الشيخ صالح ـ رضي الله عنه ـ نهج الباحثين عن العلم، المجاهدين من أجل تحصيله وتحقيقه، فطاف كثيرا من البلدان الإسلامية؛ بحثا عن العلماء العاملين، والأولياء الربانيين؛ يرتوي من معينهم، ويضطلع من علومهم، فشدَّ الرحال إليهم في بلاد المغرب، وفلسطين، والأردن، والعراق، ناهيك عن أخذه عن كثير من علمائهم في الأزهر الشريف بمصر، ورحلاته بعد استقراره بمصر إلى السودان(٢٠)، وفتح الله عليه باب الحج وزيارة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أعوام عديدة، حتى بلغ سبعا وعشرين حجة أتمها مصاحبا لأحبابه ومريديه، ملتقيا بأهل العلم على اختلاف أجناسهم(٢١).

خامسا: مؤلفاته:

قد تجد أنَّ العلماء الذين نظموا علومهم في منظومات شعرية ربما برعوا في فن أو اثنين من ذلك، أمَّا الشيخ صالح فقد تميز بما أكرمه الله ـ تعالى ـ من نظم العلوم المتنوعة والفنون الكثيرة في منظومات وأراجيز، جاعلا لكل نظم منها اسما يخصه، وقد شملت هذه المنظومات علوم التصوف والتربية، والعقيدة وأصول الدين، والدعوة والوعظ، والتفسير والحديث، والسيرة والشمائل النبوية، والشريعة، وعلم الفرائض، واللغة العربية لا سيما علمي النحو والتصريف، ومن مؤلفاته: ديوان الجعفري، والمنتقى النفيس، درس الجمعة، وفتح وفيض من الله، والإلهام النافع المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة، ومفتاح مفاتح كنوز السماوات والأرض، والفتاوى الجعفرية، وغير ذلك (٢٢).

سادسا: ثناء العلماء على الشيخ صالح الجعفري:

وضع الله للشيخ صالح القبول والمحبة بين الناس عامهم وخاصهم؛ فالعلماء يرجعون إليه مهتدين برأيه معترفين بفضله، والعامة يجلون مكانته ويكبرون منزلته، ومن أجل ذلك فقد أثني عليه كثير من السادة العلماء، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- أثنى عليه شيخه الشيخ محمد عبد العالي وكان به مسرورا، إذ إنَّه كان إذا لقيه منذ صغره يقول له مرحبا شيخنا(٢٣).

٢- وتنبأ له الشيخ السمالوطي بالولاية؛ فقد لقيه الشيخ صالح يوما وهو مهموم بسبب كيد بعض أقرانه له، فكاشفه الشيخ السمالوطي بما يدور في نفسه، ثم قال له: الولي الصادق هو الذي يمكث وسط العقارب، ولا تتمكن من لدغه(٢٤).

٣- وأثنى عليه الشيخ الشنقيطي فكان إذا تعرَّض أحد من زملاء الشيخ صالح له بنوع من المعاكسة، قال له الشيخ الشنقيطي: يعاكسونك وأنت خير منهم، أنت بركة الدرس([٢٥])، بل ومن حبه له وثنائه عليه أجازه بجميع إجازاته ومؤلفاته([٢٦]).

٤- ورأى الشيخ الدجوي فيه شيئا طيبا فريدا يدل على معية الله ــ تعالى ــ معه، وإمداده له بالخير العميم الذي يسوقه الله على يديه، فكان شيخه الدجوي كثيرا ما يصرح بذلك وينعت تلميذه الشيخ صالح بالمبارك([٢٧]).

٥- كما أثنى عليه الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري ونعته بالصالح اسما وحالا، فكان من كلامه: "دَرَّسْت (جمع الجوامع بشرح المحلى) وحضره عليَّ الشيخ صالح الجعفري وهو صالح كاسمه"([٢٨])، وقال عنه: "كان من الصالحين، وله كرامات ومكاشفات"([٢٩]).

٦- فضيلة الإمام الأكبر محمد بيصار(ت: ١٤٠٢هـ) شيخ الأزهر الأسبق: والذي وصف الشيخ صالح الجعفري بأنَّه الأزهر بعلمه ووجوده فيه، وأنَّ زائري الأزهر من بلاد متعددة كانوا يجدونه رمزا للأزهر وممثلا له بما حباه الله ـ تعالى ـ من علم([٣٠]).

٧- ووصفه الدكتور أبو الوفا التفتازاني بأنَّه: ولي من أولياء العصر، وقدوة صالحة في جميع أحواله الظاهرة والباطنة، ومربيا لكثير من التلاميذ([٣١]).

٨- الشيخ محمد محي الدين محمد حاج السوداني، وهو من زملاء الشيخ في سنوات الدراسة، وتتلمذ على يديه في نفس الوقت، وصف الشيخ صالح في خطاب أرسله إليه من السودان: بأنَّه العالم الموفق الذائق، الذي وهبه الله العلم والعمل، ووهبه التوفيق لخدمة الشرع الحنيف، والدفاع عن الدين بالحجة الباهرة، والنفع لمصر والسودان، وبأنه العلامة المحقق، والولي الصالح الناصح لعباد الله في عصر الفتن، وضرائب العقائد، والعارف للداء والواصف في دروسه وتواليفه للدواء، وصاحب القلم البارع، والقلب الطاهر([٣٢]).

٩- وبكاه الاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي (ت: ١٤٣٢هـ /٢٠١١م) بعدما رأى فجيعة محبيه عند شهود جنازته، وذِكْرُ بعضهم لفضله عليهم؛ عونا لهم على توبة؛ أو حفظا لهم في معاشهم؛ أو تبصيرا لهم بحقيقة أمرهم، فقال

سيادته: "انتهت الجنازة وخواطري يوحى إلي أنَّ من الضروري الحتم للناس أن يكون لهم من العلماء الصادقين بلسم شفاء، ومراوح نسيم تقيهم لفحات الحياة عند الزلل، وقد كان الشيخ صالح شجرة وارفة ذات ظل، تسقط الثمر، وتحمي من القيظ، وتؤذن بالإسعاد، فهل من بديل!"(٣٣).

١٠- وعدَّه الدكتور أسامة الأزهري ــ الأستاذ بجامعة الأزهر، والمستشار الديني لرئاسة جمهورية مصر العربية ـ عمودا من أعمدة الأزهر، وأحد حصونه المنيعة، جازما بأنَّ الأزهر فَقَدَ بموت الشيخ صالح سندا وعضدا(٣٤).

وتقديرا من الدولة المصرية لمكانة الشيخ العلمية فقد قامت الدولة بتكريمه مع كبار العلماء والمفكرين المسلمين، ومنحته نوط الامتياز من الدرجة الأولى في عام ١٩٨٩م، سلَّمه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لنجل الشيخ: فضيلة الشيخ عبد الغني صالح الجعفري (ت: ٢٠١٢م)(٣٥).

المبحث الثالث: منهجه عقيدة، وفقها، وتصوفا.

أجمل الشيخ صالح الجعفري منهجه الذي سار عليه في قوله: "واعلم أنَّ طريقنا هذا مبني على الكتاب والسنة، وفقه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعري في التوحيد، وأبي القاسم الجنيد في التصوف"(٣٦)، ونظم الشيخ ذلك فقال:

طريقنا الكِتابُ ثُمَّ السُّنَّة وشَيْخُنا لِجَدِّهِ وَكَلْنَا

ومالكٌ إمامنا في المِذْهَبِ وعَقْدُنَا كالأشْعَرِيّ الطيبِ(٣٧)

وقال:

ونَتبعُ مَالِكًا ولَنَا اكتِفَاءٌ بِمَذْهَبِهِ لَهُ عِلمٌ ونُور

ونَتبعُ للجُنَيدِ ومَنْ نَحَاهُ لَهُمْ عِلْمٌ تَفُوحُ لَهُ عُطُور(٣٨)

ومن كلامه نستطيع أن نُفَصِّل بإيجاز ما يشتمل عليه منهج الشيخ وعقيدته في نقاط أربع، وهي الالتزام بالكتاب والسنة، والانتماء إلى عقيدة أهل السنة والجماعة باتباع

الإمام أبي الحسن الأشعري، والعمل بفقه الإمام مالك، مع الأخذ بباقي المذاهب تيسيرا على الناس، والسير في التصوف على نهج الإمام الجنيد.

أولا: الالتزام بالكتاب والسنة:

لقد قدَّم الشيخ الكتاب والسنة في كل أموره، فما من حكم أو فعل أو فكرة، أو حتى خاطرة إلا عرضها على الكتاب والسنة، وأوصى تلاميذه ومريديه على أن يلتزموا بهذا المنهج، قال ـ رحمه الله ـ: "واعلم يا أخانا في الله ـ تعالى ـ أنَّ الخاطر الذي يخطر بقلبك طالبا منك فعلا أو قولا فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن قبلاه فاعلم أنَّه من المَلَك فسارع في إنفاذه، وإن لم يقبلاه ففرَّ منه فرارك من السبع واعلم أنَّه من الشيطان"(٣٩)، ونظم ذلك في ديوانه فقال:

وَزِنْ خَاطِرًا إِنْ جَاءَ يَومًا مُفَاجِئًا

بِمِيزَانِ شَرْعٍ فِيهِ نُورُ الطَرِيقَةِ

فَإِن كَان ذا يُمْنٍ فعَجِّل نُفُوذَه

وإِن كَان ذا شرٍّ تَعَوذْ بسرعَةِ

أَجِبْ خَاطِرًا نَادَاكَ يَومًا إلى العُلا

وحَاذِر لإهمالٍ ورَغبَةِ مُهْلَةٍ

إذا مَا رَأَيتَ الخَيرَ فِي القَلبِ نَازِلًا

فَذَاكَ مِنَ الأَمْلاكِ أَهلِ الصِّيَانةِ

أو الشَّرَّ فَاعلَم أنَّه مِنْ عَدُوِّنَا

لَعِـــــــــــينٌ وَشَـــــــــــيطَانٌ قَـــــــــــرِينُ الخَبَاثَـــــــــــةِ(٤٠)

ولم يغفل الشيخ مع أخذه بالكتاب والسنة باقي مصادر التشريع المتفق عليها، بل ذكرها ونص عليها ذاكرا ـ رحمه الله ـ أنَّ مصادر التشريع المتفق عليها هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس(٤١).

ثانيا: مذهب الشيخ الفقهي:

ذكر الشيخ صالح عند توضيحه لمنهجه اتجاهه الفقهي، وهذا الجانب ليس بعيدا عن التصوف؛ فهما وجهان لعملة واحدة، ولا غنى للفقيه والصوفي عنهما، ففقيه بلا تصوف كروح بلا جسد، وصوفي بلا فقه كعابد بلا رشد، ولا يمكن التغافل عن كليهما معا إلا إذا استغنت الروح عن الجسد(٤٢)، وحيث إنَّ الأزهر يُدرِّس الفقه على المذاهب الأربعة فإنَّ مذهب الشيخ الفقهي هو المذهب المالكي كما ذكر الشيخ في مؤلفاته، ومنها ما ذكره في ديوانه العامر بالدرر والجواهر:

ونَتبَعُ مَالِكًا وَلَنَا اكْتِفَاء بِمَذْهَبِهِ لَهُ عُلُوٌّ وَنُور(٤٣)

ومع أخذ الشيخ للمذهب المالكي إلا أنَّه كان موسوعة فقهية، ومفتيا بارعا، حيث كان في فتاويه عالما موسوعيا مطلعا على باقي المذاهب، مبرزا في فتاويه معالم الوسطية والمنهج المعتدل الذي يسعى به إلى معالجة أعمال الناس ما أمكنه ذلك، فكان بوسطيته ـ رضي الله عنه ـ غير ملزم لغيره بمذهبه الفقهي، بل كان يتجاوزه تبعا لما يوافق حال السائل غير مبتعد عن أن يدلل عليه بالقرآن الكريم والسنة المطهرة(٤٤)، وممَّا نظمه في مدح الأئمة الأربعة قوله:

ولِمَالِـــكٍ فَضْـــلٌ كَبَحْـــرٍ زَاخِـــرٍ جَمَـــعَ العُلُـــومَ وَسَـــائِرَ الأَخْبَـــارِ

لِلشَّـــافِعِيِّ مَكَـــارِمٌ أَكْـــرِمْ بِـــهِ نَشَـــرَ العُلُـــومَ بِسَـــائِرِ الأَقْطَـــارِ

وَأَبُـــو حَنِيفَـــةَ ذُو اجْتِهَـــادٍ وَاسِـــعٌ وَعَـــن الغَـــوَامِضِ كَاشِـــفَ الأَســـتَارِ

ولأَحْمَـــدَ فَضْـــلُ تَـــوَرُّعٍ دَائِمًـــا جَمَـــعَ الحَـــدِيثَ بِمُســـنَدٍ مِـــدْرَارِ

يَا رَبُّ فَـــارْضَ عَلَـــيهِمُ عَـــدَدَ الأُلَى قَـــرَأُوا لِفِقْهِهِـــم مَـــدَى الأَعْصَـــارِ(٤٥)

ثالثا: الالتزام بالعقيدة الأشعرية:

إنَّ اسم الأشاعرة يطلق على من سلك مسلك الإمام أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد، لا تقليداً بل اهتداءً، فمثل الإمام أبي الحسن – رحمه الله –كمن عقد على طريق السلف لواءً ليهتدي به من يراه، فالانتساب إليه بمنزلة الانتساب إلى الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد – رضوان الله عليهم – في الفروع الفقهية، إذ مع كونهم مختلفين في طرق الاستنباط واستخراج الأحكام، إلا أنَّهم متفقون على المصادر التي يصدرون عنها، والموارد التي يَرِدُونَها(٤٦).

ولقد أثنى جُلُّ علماء الأمة على الاتجاه الأشعري، وأنصفوا إمامه، ووافقوه فيما ذهب إليه، بل واتبعوه في ذلك وافتخروا بتبعيتهم له، ومن ذلك ما رآه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام . رحمه الله . من أنَّه قد اجتمع على عقيدته ـ يعني الأشعري ـ الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة(٤٧)، وأكَّد الإمام تاج الدين السبكي . رحمه الله . على أنَّ أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشء مذهباً، ولم يكن من سلك طريقه بعيدا عن الهدى، وإنَّما الإمام مقرر لمذاهب السلف(٤٨)، وغيرهم الكثير.

ولقد كان الشيخ صالح موسوعة في علم العقيدة، يكثر من الاستشهاد بالمراجع المتعددة، وعمل جاهدا على وضوح معالم عقيدته السنية، من محبته لله . عز وجل . ومحبته للنبي . صلى الله عليه وسلم . ومحبته لآل البيت الأطهار، ومحبته للصحابة الكرام إجلالا، وتقديرا، وإبرازا لدورهم العظيم في خدمة هذا الدين، لا سيما الشيخين أبي بكر وعمر . رضي الله عنهما . وقد مدحهما في ديوانه بأبيات في كثير من قصائده؛ لأنَّه يعرف قدرهما عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعرف العلاقة القوية بين الصحابة الكرام، وأهل البيت الأطهار . رضي الله عنهم أجمعين .، ومما نظمه الشيخ في ذلك:

يَا رَبّ فَـــــــــــارْضَ عَـــــــــــنْ الصِّـــــــــــدْيقِ سَـــــــــــيِّدِنَا

حِـــــــــــبِّ النَـــــــــــبِيِّ لَـــــــــــهُ العَلِيَـــــــــــاءُ فِي الهِمَـــــــــــمِ

فِي الغَـــــــــارِ كَـــــــــانَ مَـــــــــعَ المختَـــــــــارِ صَـــــــــاحِبُهِ

لَـــــــــهُ التَّقَـــــــــدّمُ فِي الإِســـــــــلامِ والكَـــــــــرَمِ

أَثْـــــــــنَى عَلَيْـــــــــهِ إِلَـــــــــهُ العَـــــــــرْشِ خَالِقُنَـــــــــا

خَـــــــــيرَ الثَنَـــــــــاءِ فَيَـــــــــا بُشْـــــــــرَاهُ بِالـــــــــنِّعَمِ

واجْعَـــــــــل رِضَـــــــــاكَ عَلَـــــــــى الفَـــــــــارُوقِ سَـــــــــيِّدِنَا

أَبِي الفُتُوحَـــــــــاتِ ذِي بَطْـــــــــشٍ بِـــــــــذِي صَـــــــــنَمِ

يَفِـــــــــرُّ إِبلِـــــــــيسُ إِنْ لاقَـــــــــاهُ فِي طُـــــــــرُقٍ

والجَـــــــــورُ والظُلـــــــــمُ مِـــــــــنْ مَـــــــــرآهُ فِي عَـــــــــدَمِ

وَحُبُّـــــــــهُ لِرَسُـــــــــولِ الله يُعْلِنُـــــــــهُ

لَـــــــــدَى النَّـــــــــبِيِّ عَلَـــــــــى نَفْـــــــــسٍ عَلَـــــــــى رَحِـــــــــمِ(٤٩)

رابعا: الالتزام بمنهج الجنيد ومن نحاه في التصوف.

ارتضى الشيخ في تصوفه منهج الإمام أبي القاسم الجنيد، والذي يعد من أهم رجال الحركة العلمية الإسلامية في القرن الثالث الهجري، كما أنَّه في مجال التصوف أهم شخصية بما قدمه من مصطلحات المقامات والأحوال التي قام بتعريفها، كذلك فقد برع في الكشف عن كثير من تفصيلاتها وأهم دقائقها، كما ساهم مساهمة فعالة في تحديد طريق التصوف، فقام بوضع أهله على جادة الطريق.

وقد حرص الشيخ صالح بذلك على أن يلتزم نهج سلف الأمة الصالح الذين اتخذوا من العلم والعمل زادا للوصول إلى بغيتهم، وعلى رأسهم الإمام الجنيد . رضي الله عنه . الذي لقبه العلماء بسيد الطائفة، وطاووس العلماء، وتاج العارفين، وشيخ طريقة التصوف، ومُقدّم الجماعة(٥٠)، فقال فيه:

وَنَتْبَعُ لِلْجُنَيْدِ وَمَنْ نَحَاهُ لَهُمْ عِلْمٌ تَفُوحُ لَهُ عُطُوْرُ(٥١)

واستطاع الشيخ بذلك أن يسير على الطريق، وأن يتبع المنهج، فانيا حياته في أن يُرَكِّز على الجانب السلوكي في التصوف، خاصة وقد كفاه الإمام الجنيد كثيرا من العبء والتعب في الاستفاضة في بيان معالم الطريق الصوفي الصحيح، ولعلَّ ما دفع الشيخ صالح إلى إصابة عين الحقيقة في الحرص على أن ينهج نهج الجنيد ومن نحاه هو أنَّه غُرِسَ في وسط العلوم منذ صغره، فأدرك ما معنى كلمة تصوف بمفهومها العملي الصحيح.

خاتمة البحث

وبعد ما قدمنا من هذه المعلومات والمعارف الرقيقة عن الشيخ صالح الجعفري ومن نتائج هذا البحث ما يلي:

١. كان البحث عرضا واضحا لقامة من قامات العلم والتصوف الصحيح ــ الشيخ صالح الجعفري ..
١. من حياة الشيخ صالح ندرك أنَّ الأسرة الطيبة لها دور بارز في نشأة العلماء، وتوجيههم إلى الطريق الأمثل، وتحمل المشاق من أجل أن تحظى الأمة بعالم يملأ الدنيا هداية ونورا، ويأخذ بيد الناس إلى طريق الهدى والرشاد.
٢. أبرزت الرسالة حقيقة تصوف الشيخ صالح الجعفري، وأثره في بناء الوعي عند جمهوره ومريديه، ومساهمته في محاربة الخرافات والدجل.
٣. كشفت مؤلفات الشيخ صالح عن وسطيته، علما وعملا وتصوفا، وعن تخليد ذكرى كوكبة كريمة من أهل العلم نال الشيخ شرف الجلوس إليهم، والأخذ عنهم.

الهوامش:

[١] – انظر سجل الحضرة الجعفرية الموصولة بالحضرة النبوية . جمع وتحقيق: محمد منصور عبد الدايم ص١٤ . ١٦. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

٢ – ديوان الجعفري . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ج٥ ص٩٨. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

٣ – انظر المنتقى النفيس في مناقب قطب دائرة التقديس سيدي أحمد بن إدريس – المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ص ١٦٤– الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . ط٤، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.

٤– انظر الكنز الثري . تأليف: الشيخ عبد الغني صالح محمد الجعفري ص١٥. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

٥– انظر المنتقى النفيس للجعفري ص٩ . ودرس الجمعة . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ج١ ص٤. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة . ط٢، والكنز الثري لعبد الغني صالح ص٢١ (م. س).

٦– انظر جمهرة أعلام الأزهر . المؤلف: أسامة السيد الأزهري ج٧ ص١٤. ١٨. الناشر: مكتبة الإسكندرية، ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

٧– انظر مفتاح الدخول للطريقة الجعفرية . المؤلف: الشيخ عبد الغني صالح ص١٤. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة.

٨– أصبح الشيخ محمد الشريف (ت ١٩٣٦م) شيخا للطريقة بعد أبيه الشيخ عبد العالي (ت ١٢٩٥هـ) بن الشيخ أحمد بن إدريس شيخ الطرقة الأحمدية الإدريسية (ت ١٢٥٣هـ)، انظر المنتقى النفيس للجعفري ص١٣. ٥٠ (م. س).

٩– انظر فتح وفيض من الله في شرح كلمة لا إله إلا الله . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ص٢٨ . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة، والكنز الثري لعبد الغني صالح ص٢٢ (م. س).

١٠. انظر فتح وفيض للجعفري ص١٨. والكنز الثري للسيد عبد الغني صالح ص٢١ . ٢٥ (م. س).

١١. مفتاح الدخول للطريقة الجعفرية لعبد الغني صالح ص١٧ (م. س).

١٢– انظر الكنز الثري لعبد الغني صالح ص٤٥ (م. س).

١٣– انظر المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ص ١٤٥. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

١٤ – انظر الذخيرة المعجلة . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ص٢٧ . ٢٩. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة.

١٥– مقدمة الإلهام النافع للجعفري . المؤلف: الشيخ صالح محمد الجعفري ص١٤. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة.

١٦. (سورة النحل: جزء من الآية ١٢٥).

١٧- صحيح البخاري ـ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ) ـ تحقيق: محمد زهير ـ (كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ج٤ ص١٧٠ ح ٣٤٦١ ـ الناشر: دار طوق النجاة ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨- المرجع السابق (كتاب الزكاة ـ باب إنفاق المال في حقه) ج٢ ص١٠٨ ح ١٤٠٩- وصحيح مسلم ـ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها) ج١ ص٥٥٩ ح٨١٦ ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٩ ـ الإلهام النافع للجعفري ص١٤(م. س).

٢٠– انظر الطريقة الجعفرية شيخا ومنهاجا الأمس واليوم والغد ـ جمع اللجنة المركزية للاحتفالات الجعفرية ص٣٧. الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة ـ القاهرة، وفتح وفيض للجعفري ص١٣٥ (م. س).

٢١– انظر مقدمة الإلهام النافع ص١٨(م. س).

٢٢– انظر المرجع السابق ص١٦– ١٧ (م. س).

٢٣- المنتقى النفيس للجعفري ص١٢٩ (م. س).

٢٤- انظر الكنز الثري لعبد الغني صالح ص٤٠ (م. س).

٢٥- انظر الذخيرة المعجلة للجعفري ص٢٨ ـ ودرس الجمعة للجعفري ج١ ص٥ (م. س).

٢٦- انظر المنتقى النفيس للجعفري ص٢٠٧ (م. س).

٢٧- انظر الذخيرة المعجلة للجعفري ص٢٩ (م. س).

٢٨- سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق الغماري ـ المؤلف: عبد الله بن الصديق الغماري ص ٢٦- مكتبة القاهرة ـ الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٢٩- المرجع السابق ص ٦٣.

٣٠- انظر مقدمة درس الجمعة للجعفري ج٤ ص٤ (م. س).

٣١- انظر الحق الجلي في نسب ومدرسة سيدي الشيخ صالح الجعفري ـ إعداد: محمد طاهر خراشي العدوي ص٣- الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة ـ القاهرة.

٣٢- انظر الكنز الثري لعبد الغني صالح ص١٠٦ ـ ١٠٧ (م. س).

٣٣- أشواق العارفين صفحات من تاريخ الصوفية ج٢ ص١١٨- ١٢٠- المؤلف: الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـ هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر شوال ١٤٢٤هـ.

٣٤- انظر جمهرة أعلام الأزهر لأسامة الأزهري ج٧ ص١٨ (م. س).

٣٥- انظر الشيخ صالح الجعفري حياته وجهوده في الحياة الروحية في ميزان الإسلام ـ المؤلف: د. محمد عبد الدايم علي الجندي ص٧٨ ـ الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة، ٢٠٠٦م.

٣٦– مفتاح مفاتح كنوز السماوات والأرض ـ المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ص١٣. الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة ـ القاهرة.

٣٧– ديوان الجعفري ج١ ص٤٦ (م. س).

٣٨– المرجع السابق ج١ ص٤٥ (م. س).

٣٩– الإلهام النافع للجعفري ص٣٣ (م. س).

٤٠– ديوان الجعفري ج١ ص١٤٦ . ١٤٨ والأبيات من قصيدة واحدة يفصل بين البيتين الأولين وباقي الأبيات عدد من الأبيات ولكني اخترت منها محل الشاهد (م. س).

٤١– انظر الكنز الثري لعبد الغني صالح ص٩٧، درس الجمعة للجعفري ج٢ ص٩٠ (م. س).

٤٢– الفتاوى الجعفرية . المؤلف الشيخ صالح الجعفري . جمعها واعتنى بها: د/ مجدي عاشور ص١١. الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة، ٢٠١٥م.

٤٣– ديوان الجعفري ج١ ص٤٥ (م. س).

٤٤– انظر الفتاوى الجعفرية ص١٣(م. س).

٤٥– ديوان الجعفري ج٢ ص٣١١–٣١٢ . والكنز الثري لعبد الغني صالح ص١٠٠ (م. س).

٤٦– انظر أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم . المؤلف: حمد السنان وفوزي العنجري . تقديم: مجموعة من كبار العلماء ص٣٠ . الناشر: دار الضياء . الكويت.

٤٧– المرجع السابق ج٣ ص٣٦٥ (م. س).

٤٨– طبقات الشافعية الكبرى . المؤلف: تاج الدين السبكي . تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو ج٣ ص٣٦٥ . الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع . ط٢، ١٤١٣هـ.

٤٩. ديوان الجعفري ج٨ ص٨٤ . ٨٥ (م. س).

٥٠– انظر السر في أنفاس الصوفية . المؤلف: الجنيد (ت: ٢٩٧هـ) . تحقيق: الدكتور عبد الباري محمد داود ص٢٩٢. الناشر: دار جوامع الكلم . القاهرة . مصر . ط١، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م، وحلية الأولياء لأبي نعيم – المؤلف: الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ج١٠ص٢٥٥– الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٥١ – ديوان الجعفري ج١ ص٤٥ (م. س).

مصادر البحث

١. الإلهام النافع للجعفري . المؤلف: الشيخ صالح محمد الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة.

٢. حلية الأولياء لأبي نعيم ــ المؤلف: الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ــ الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣. درس الجمعة . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة - ط٢.

٤. ديوان الجعفري . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم - الدراسة - القاهرة.

٥. الذخيرة المعجلة . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة.

٦. السر في أنفاس الصوفية ــ المؤلف: الجنيد (ت: ٢٩٧هـ) . تحقيق: الدكتور عبد الباري محمد داود . الناشر: دار جوامع الكلم ــ القاهرة . مصر ــ ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧. صحيح البخاري . المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ) ــ تحقيق: محمد زهير ــ الناشر: دار طوق النجاة ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨. صحيح مسلم ــ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ــ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩. طبقات الشافعية الكبرى ــ المؤلف: تاج الدين السبكي ــ تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو ــ الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠. الفتاوى الجعفرية ــ المؤلف الشيخ صالح الجعفري ــ جمعها واعتنى بها: د/ مجدي عاشور - الناشر: دار جوامع الكلم - الدراسة - القاهرة، ٢٠١٥م.

١١. فتح وفيض من الله في شرح كلمة لا إله إلا الله . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة.

١٢. الكنز الثري . تأليف: الشيخ عبد الغني صالح محمد الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

١٣. المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة . المؤلف: الشيخ صالح الجعفري . الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

١٤. مفتاح مفاتح كنوز السماوات والأرض ـ المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ـ الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . القاهرة.

١٥. المنتقى النفيس في مناقب قطب دائرة التقديس سيدي أحمد بن إدريس ـ المؤلف: الشيخ صالح الجعفري ـ الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة . ط٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

مراجع البحث

١. أشواق العارفين صفحات من تاريخ الصوفية ـ المؤلف: الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ـ هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر شوال ١٤٢٤هـ.

٢. أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم ـ المؤلف: حمد السنان وفوزي العنجري . تقديم: مجموعة من كبار العلماء ـ الناشر: دار الضياء ـ الكويت.

٣. جمهرة أعلام الأزهر ـ المؤلف: أسامة السيد الأزهري ـ الناشر: مكتبة الإسكندرية، ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

٤. الحق الجلي في نسب ومدرسة سيدي الشيخ صالح الجعفري ـ إعداد: محمد طاهر خراشي العدوي ـ الناشر: دار جوامع الكلم . الدراسة ـ القاهرة.

٥. سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق الغماري ـ المؤلف: عبد الله بن الصديق الغماري ـ مكتبة القاهرة ـ الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٦. سجل الحضرة الجعفرية الموصولة بالحضرة النبوية ـ جمع وتحقيق: محمد منصور عبد الدايم ـ الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة ـ القاهرة

٧. الشيخ صالح الجعفري حياته وجهوده في الحياة الروحية في ميزان الإسلام ـ المؤلف: د. محمد عبد الدايم علي الجندي ـ الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة، ٢٠٠٦م.

٨. الطريقة الجعفرية شيخا ومنهاجا الأمس واليوم والغد ـ جمع اللجنة المركزية للاحتفالات الجعفرية ـ الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة ـ القاهرة.

٩. مفتاح الدخول للطريقة الجعفرية ـ المؤلف: الشيخ عبد الغني صالح ـ الناشر: دار جوامع الكلم ـ الدراسة.